(١)

فضائل العشر الأول من ذي الحجة
وأهمية اغتنامها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينًا.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله القائل: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي الْعَشْرَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد :

فمن فضل الله تعالى وكرمه على عباده أن جعل لهم مواسم للخيرات ، تضاعف فيها الحسنات ، وتكثر فيها الخيرات ، وتتنوع فيها الطاعات ، ومن هذه الأيام العشر الأول من شهر ذي الحجة ، حيث يجتمع فيها حجاج بيت الله الحرام في أطهر بقعة من الأرض ، عند بيته

المحرم ، يتسابقون في الطاعات ، ويتنافسون في الخيرات ، ويلبون نداء أبيهم إبراهيم (عليه السلام) حيث يقول الحق سبحانه : {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}.

تلك الأيام المباركة عرف المسلمون قدرها ومكانتها ، فسارعوا فيها إلى الخيرات رغبة في التقرب إلى الله عز وجل الذي يجزى الحسنة بعشر أمثالها، قال سبحانه: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}.

ومن فضائل هذه الأيام : أن الله عز وجل أقسم بها في كتابه الكريم : و الله سبحانه لا يقسم إلا بعظيم ، فالقَسَم بها يدلُّ على عظمتها ورفعة مكانتها وتعظيم الله تعالى لها ، وتنويهًا بشأنها وفضلها، وإرشادًا لأهميتها ومكانتها ومنزلتها، قال سبحانه:{وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشفع والوتر}، وما عليه جمهور المفسرين أن الليالي العشر هنا هي عشر ذي الحجة، حيث ورد عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال في تفسير هذه الآيات (العشر: عَشْرُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ).

ومنها : أنَّ الله (تعالى) أمر عباده بكثرة ذكره فيها ، وذلك إعلامًا بفضلها ، وإظهارًا لشعائرها ، حيث سماها في القرآن الكريم بالأيام المعلومات، فقال :{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى (فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ): (هي أيام العشر).

ومنها : أن العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله (عز وجل) من العمل في سواها ، كما قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ) يَعْنِي الْعَشْر، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

ومنها: أن فيها يوم عرفة ، يوم تُجاب فيه الدَّعوات ، وتُقال فيه العَثَرات، ويباهي اللهُ فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يومٌ أكمل الله فيه الدِّين وأتم فيه النِّعمة ، فعنْ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أنَّ رجُلاً منَ اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا – معشرَ اليهود – نزلَتْ، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} قال عمر: (قد عَرَفنا ذلك اليوم ، والمكان الذي نزلتْ فيه على النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو قائم بِعَرَفة يوم الجمعة). وهو يوم مغفرة الذُّنوب، والعِتق منَ النار، والمباهَاة بأهل الموقف ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ).

ومن فضائل العشر أيضا : أن فيها يوم النّحر ، وهو العاشر من ذي

الحجّة، وفيه أغلب أعمال النُّسُك: من رمي الجمرة الكبرى ، وحَلْق الرّأس، وذبح الهَدْي، والطَّواف، والسّعي، وصلاة العيد، وذبح الأُضحية، واجتماع المسلمين في صلاة العيد ، وتهنئة بعضهم بعضًا ، ونبذ ما كان من شحناء أو بغضاء ، إذ ينبغي أن نستقبل العيد بقلوب صافية ونفوس مؤمنة راضية ، محبة للخير ، مع صلة الرحم ، ووصل ما انقطع ، ففي الحديث القدسي : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِىء ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) .

أيام بهذا الفضل حري بكل مسلم أن يغتنمها ، فهي أيام العمل والمسارعة إلى الخيرات ، وهي أيام الفوز والسعادة والفلاح ، فالسعيد من اغتنم هذه الأيام واستثمرها في طاعة الله ، وتقرب فيها إلى مولاه، عسى أن تصيبه نفحة من النفحات فلا يشقى بعدها أبدًا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الحمد لله وكفى ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى ، إخوة الإسلام :

إن الأعمال المشروعة في هذه الأيام المباركة (أيام العشر من ذي الحجة) كثيرة ومتنوعة ، منها:

الصوم : فهو من أفضل الأعمال ، وقد أضافه الله (عز وجل) إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) ، وقد صح في الحديث (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) ، ومن ثمَّ فيسن للمسلم أن يصوم التسع من ذي الحجة، فصومها من الأعمال المحببة إلى الله تعالى ، وخاصة صيام يوم عرفة لغير الحاج: فقد خص النبي (صلى الله عليه وسلم) صيامه من بين أيام العشر، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ).

ومنها: كثرة التكبير والتحميد والتهليل والذكر : لقوله سبحانه : {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ}، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ).

ومنها: الإكثار من الصدقة ، لإدخال الفرح والسرور على الفقراء والمحتاجين ، حتى ينعم الجميع بالسعادة في هذه الأيام ، وقد حث عليها ربنا حيث قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}،

وفي الحديث : (ما نقصت صدقة من مال)، ولا سيما في هذه الأيام التي تضاعف فيها الحسنات ، فما أحوجنا إلى التكافل والتراحم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

ومن الأعمال المشروعة أيضًا : الأضحية ، فهي شعيرةٌ من شعائر الله قال تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، وسنة من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينبغي الالتزام بها للمستطيع، فحين سئل (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قَالَ: (سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)، وقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) بِمَكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا). فهي قربة يتقرب بها العبد إلى الله (عز وجل) ، والله طيب لا يقبل إلا طيِّبًا.

اللهم إنا نسألك فِعْل الخيرات ، وتَرْك المنكرات، اللهم يسِّر للحجيج حجَّهم، واجعلنا جميعًا من المقبولين.